الفصل الثامن عشر

خطاب من دكتور جيكل

أخرج أترسون المظروف من خزنته، وجلس بتؤدة ثم بدأ يقرأ قصة دكتور لانيون:

قبل أربعة أيام، أي في التاسع من يناير/كانون الثاني، تسلمت في المساء خطابًا مسجلًا من صديقي القديم دكتور هنري جيكل. ذُهلت أيما ذهول لأننا لم نتبادل الخطابات من قبل. وكنت قد رأيته الليلة السابقة لتسلم الخطاب ولم أتوقع هذا التواصل السريع. ولم أتصور قط ما هذا الأمر البالغ الأهمية. زاد فضولي بعد قراءة الخطاب الذي كان مسطرًا هكذا:

عزيزي لانيون،

أنت واحد من أقدم أصدقائي، وعلى الرغم من الاختلافات التي وقعت بيننا من وقت قريب حول المسائل العلمية، فإني على ثقة من أن ما بيننا من مشاعر الود لم تمس بسوء. وأنا على يقين من أنك تعرف أنني لن أتوانى لحظة عن المجيء لإنقاذك، وإنما سأهرع إلى جانبك في الحال. يا لانيون، إن حياتي، وسمعتي، وسلامتي العقلية، جميعها تحت رحمتك. إذا خذلتني الليلة فسأضيع. قد ترتاب في أنني سأطلب منك أن تفعل شيئًا مخزيًا، لكن احكم أنت بنفسك.

أسألك أن ترجئ كل مهامك الليلة — حتى لو ظهر أمر طارئ — وتحضر هذا الخطاب إلى منزلي. وقد أعطيت أوامري لخادمي؛ ستجده بانتظارك ومعه صانع أقفال. أريد منك أن تقتحم مكتبي، وما إن يُفتح الباب، ادخل بمفردك. انتزع الدرج الأقصى من جهة اليسار من خزنة الأدوية، ستجده مليئًا ببعض المساحيق والقوارير. أنا في حالة هلع شديد وأخشى أن أسيء توجيهك بطريقة

أو بأخرى. لذا، من فضلك خذ الدرج بأكمله بكامل محتوياته معك. خذه إلى منزلك، ولسوف أرسل شخصًا ليأخذه منك.

يتعاظم قلقي بشأن الوقت؛ إذا اتجهت إلى منزلي بعد تسلمك هذا الخطاب مباشرة، من المفترض عندئذ أن تصل هناك قبل منتصف الليل. هناك احتمال أيضًا أن تتأخر لسبب أو آخر، لذا من الأفضل أن أمنحك المزيد من الوقت. أرجوك أن تكون بمفردك عند منتصف الليل وتأكد من عدم وجود أي خدام على مقربة منك. وحينئذ عند منتصف الليل سيأتيك شخص يقدم نفسه لك باسمي. من فضلك أعطه الدرج الذي انتزعته من مكتبي. وعندئذ سينتهي دورك. إذا أردت أن تفهم المزيد، فسينكشف لك كل شيء في الدقائق الخمس التالية.

لن أستطيع تحمل مجرد فكرة أنك قد ترفض تلبية طلبي. أنا في حالة تشويش شديدة وغارق في الهلع. حاول أن تتخيل حالي في هذه الساعة في مكان غريب غارقًا في اليأس. أعرف أنني أطلب منك الكثير، لكن استعدادك لمساعدتي سيكون له تأثير السحر على معنوياتي.

صديقك
هنري

أكد لي هذا الخطاب أن دكتور جيكل قد جُن، لكن لم يكن بمقدوري المجازفة، إذ كنت على دراية بأنني لا بد أن أنزل عند رغبته. لم أستطع أن أكوّن رأيًا نظرًا لأنني لم أكن على دراية بكافة التفاصيل. وفوق كل شيء، ثمة صديق في احتياج شديد. وعليه فعلت كما هو مكتوب وتوجهت مباشرة إلى منزل جيكل، فكان خادمه بانتظاري ومعه صانع الأقفال. وكان خادمه أيضًا قد تسلم خطابًا مسجلًا من جكيل. شرعنا في العمل لتونا. استغرق الأمر بعض الوقت، لكن صانع الأقفال نجح أخيرًا وفتح باب المكتب. انتزعت الدرج الثاني من جهة الشمال كما طلب جيكل.

حالما وصلت منزلي، تفقدت محتويات الدرج الذي كان مليئًا بالمساحيق والقوارير كما ذكر في خطابه. وكان جليًّا لي أن هذه المواد الكيميائية هي من صنع جيكل. ولم أعرف أيًّا منها. بدا المسحوق شكلًا من أشكال الملح، أما القوارير فقد كانت مليئة بسائل أحمر له رائحة غريبة، تكاد تكون حلوة للغاية. لم أستطع أن أخمن أسماء المواد

الكيميائية الأخرى، جميعها كانت غريبة للغاية. وكان كل ما عليّ فعله الآن هو الانتظار، وفي النهاية سيأتي هذا الرجل ليأخذ الدرج. ولم أستطع أن أفهم ما علاقة هذه المواد الكيميائية بصحة جيكل وسلامته العقلية. كل هذا أقنعني أكثر من أي وقت مضى بأن جيكل مجنون. أرسلت خادمي إلى فراشه، وانتظرت زائر منتصف الليل في مختبري.

الفصل التاسع عشر

زيارة من غريب

دقت الأجراس في تمام الساعة الثانية عشرة تقريبًا عندما ظهر الغريب على بابي. سألته هل دكتور جيكل هو من أرسله، رد بالإيجاب، لذا دعوته إلى الدخول. كان ينظر وراءه كي يتأكد أنه ما من أحد رآه من الشارع. بعدها بلحظات مرّ شرطي بمنزلي، فلاحظت أن هذا الرجل أخذ يراقبه من نافذتي إلى أن رحل.

أقلقتني هذه التفاصيل، فتعجبت أي رجل هذا الذي أرسله جيكل إلى منزلي. فكرت في أن أفضل شيء هو أن أنهي هذه المهمة الكريهة في أسرع وقت ممكن، فتقدمته إلى مكتبي حيث تركت الدرج.

أنعمت النظر في هذا الرجل الذي كان قصيرًا ويرتدي معطفًا ثقيلًا، فكان وجهه هو أكثر ما يلفت الانتباه، الكلمة الوحيدة التي أستطيع أن أستخدمها لوصفه هي أنه كريه، فما إن وقعت عيناي على وجهه حتى انتابني توتر شديد للوهلة الأولى. غير أنني كنت شديد الفضول، ربما لأني طبيب، لكنني لم أستطع أن أدير نظري بعيدًا. لماذا هالني مظهره البدني بهذه القوة؟

استغرقت بعض الوقت في كتابة هذه الملاحظات التي لم تأخذ سوى لحظات في الواقع. تحركنا بسرعة من الردهة الأمامية إلى المكتب، فيما كان الرجل في لهفة شديدة للحصول على الدرج.

صرخ الرجل: «هل أحضرت الدرج؟ هل أحضرت الدرج؟» وكان نافد الصبر حتى إنه أخذ يهزني.

دفعته بعيدًا عني خطوة أو خطوتين وقلت: «على رسلك يا سيدي! لقد نسيت أنني لم أتشرف بمعرفتك بعد. تفضل بالجلوس من فضلك.» وأجلست نفسي، باذلًا قصارى

جهدي كي أبدو طبيعيًّا أمامه. ولا أعرف بالضبط لماذا أرجأت إعطاءه الدواء. ربما غلبني فضولي، إذ أردت أن أرى كيف سيكون رد فعله.

رد الرجل في تأدب بما يكفي: «ألتمس عفوك يا دكتور لانيون. أعرف أنني نافد الصبر، لكنني جئت بناء على طلب من صديقك الطبيب دكتور جيكل. ولا أحب أن أجعله ينتظر.» انقطع الرجل عن الكلام ووضع يده على حلقه. وبالرغم من رباطة جأشه، استطعت أن أرى أنه كان على وشك البكاء. ثم قال في عجالة: «أعرف ... أنه يفترض أن أسترجع ... أحد الأدراج.»

أشفقت على زائري. لا، بل ربما كنت أكثر انشغالًا بإرضاء فضولي. يصعب أن أقول هذا في هذه اللحظة بعد كل المعلومات التي أعرفها الآن.

قلت له وأنا أشير إلى حيث الدرج موضوع على الأرض: «ها هو يا سيدي.»

اندفع الرجل نحوه. ثم توقف ووضع يده على قلبه. وسمعت صرير أسنانه القوي. انتزع الغطاء، ولدى رؤيته المحتويات، أطلق تنهيدة ارتياح كبيرة حتى إنني جلست مرتعدًا. وصُدمت حينما طلب بعدها بلحظة مخبار قياس.

نهضت من مكاني بشيء من الجهد وكان له ما طلب.

شكرني بإيماءة باسمة، ثم مضى قدمًا في مزج جرعة من السائل الأحمر بالملح الغريب. وفيما امتزجت المكونات معًا، اتخذ الخليط لونًا فاتحًا، ثم بدأ الدخان والفقاقيع تتصاعد منه، ثم تحول لونه إلى لون أرجواني داكن ثم هدأ. وأخيرًا بهت لونه إلى لون أخضر مائي. راقب الزائر كل مرحلة بعين ثاقبة. ابتسم الرجل ثم وضع الكوب على الطاولة. وعندئذ استدار ونظر إليّ في جدية.

قال الزائر: «والآن، هل ستكون حكيمًا؟ هل ستطلب مني أن أغادر منزلك بهذا الكوب دون مزيد من النقاش؟ أم أنك شديد الفضول الآن؟ فكر مليًّا قبل أن تقرر. إذا اخترت، بمقدوري أن أرحل، أما أنت فستخسر إثارة هذه التجربة وحكمتها، أو أن أمكث وعندئذ سينفتح لك عالم جديد من الفهم، عالم يصعب عليك أن تتخيله في هذه اللحظة.»

حاولت أن أبدو لطيفًا وهادئًا، مع أنني لم أكن كذلك بالمرة، وكان من الواضح أنه يحاول أن يتحداني، ويسألني هل أنا شجاع بالدرجة التي تمكنني من أن أرى القصة حتى النهاية. أجبته: «سيدي، لقد قطعت شوطًا طويلًا في هذا الأمر الغريب، فلا يمكن التراجع الآن، لا بد أن أرى النهاية.»

قال: «حسنًا. فقط تذكر أنه اختيارك أنت. تذكر أنني منحتك الفرصة كي تظل بعيدًا عن هذا. لقد عشت زمنًا طويلًا بمثل هذه الآراء المحدودة حتى إنك لا تستطيع أن تدرك أوجهًا من العلوم والعجائب تحيط بك. انظر!»

حينئذ وضع الكوب عند شفتيه وتجرعه في رشفة واحدة، ثم صرخ صرخة أخذ بعدها يتهادى ويترنح، وعندئذ أحكم قبضته على الطاولة وتماسك وهو يحدق بعينين غائمتين. وفيما كنت أشاهد ما يجري، حدث تغير في هيئته؛ بدا أنه ينتفخ، وأخذ وجهه يتغير. في اللحظة التالية وثبتُ على قدميَّ وقفزت للخلف نحو الجدار، ووجدت نفسي أرفع ذراعي أمام عيني كي أحمى نفسي من هذا المنظر. كان ذهني يسبح في هلع ورعب.

صرخت مرارًا وتكرارًا: «لا، لا» عندما انتصب أمام عينيّ هنري جيكل شاحبًا ومرتجفًا وشبه فاقد الوعي!

أما ما ذكره لي على مدار الساعة التالية فلا يمكنني أن أحمل نفسي على تكراره، لقد رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت، واعتلت روحي منه. ومع أنه لا يقف أمامي الآن، فإنني ما زلت أتعجب هل كان هذا حقيقيًّا، يبدو أمرًا غريبًا إلى حد بعيد. لا يمكنني الإجابة عن هذا. تزعزت أساسات حياتي، وفارقني النوم، ولازمني الرعب الشديد ليل نهار. أي صوت يجعلني أنتفض من مكاني، وأرتعد من الظلال والظلام. أشعر أن أيامي في الحياة معدودة، وأنني سأموت لا ريب. عبر جيكل عن ندمه وحزنه — بل ذرف الدمع أيضًا — غير أنني أرتاب في أن هذا كافٍ. لن أقول سوى شيء واحد سيكون كافيًا يا أترسون، الكائن الذي زحف إلى منزلي في تلك الليلة، بناء على اعتراف جيكل نفسه، هو شخص معروف باسم هايد وهو مطلوب في كل ركن من أركان الأرض باعتباره قاتل سير دانفرز كارو.

الفصل العشرون

تحول

وضع أترسون خطاب لانيون جانبًا، وانصرف إلى المظروف الأخير، وقبل أن يفتحه أمسكه في يديه بضع لحظات؛ إذ كان يعلم أن هذا الخطاب سيكون الاتصال الأخير بينه وبين هنري جيكل. انتابه الفضول والقلق مما سيقوله صديقه. فتح أترسون الخطاب بتؤدة، وفكّ رزمة الأوراق السميكة وشرع في القراءة:

وُلدت لأسرة شديدة الثراء. وكنت مولعًا بالعمل الجاد والدراسة، ونعمت بصحبة الأصدقاء. أنبأت كل المؤشرات بحياة واعدة مباركة بالحظ الموفور. كان الجميع على يقين من أنني أسير صوب حياة مهنية عظيمة. وحقًّا كانت نقيصتي الوحيدة هي طبيعتي المنطلقة أيما انطلاق، وكنت أواجه دائمًا صعوبة شديدة في إخفاء بهجتي بالحياة والظهور بمظهر أكثر نبلًا. من وجهة نظر عائلتي أن تظهر مفعمًا بالحياة ومتحمسًا للغاية هو ضرب من ضروب عدم اللياقة. لذا تعلمت أن أخفي سعادتي، فكنت أحيا مع عائلتي بشخصية، وأعيش بيني وبين نفسي بشخصية أخرى. كان هذا حتى منتصف العشرينات من عمري حينما تأملت مليًّا فيما يدور من حولي وأدركت أنني أعيش حياة مزدوجة. قد يتباهى البعض باكتشافاتهم، غير أنني اعتبرتها أسرارًا مخجلة، وأضنيت نفسي في إخفائها عن العالم. بمرور الوقت نجحت في الفصل ما بين جانبَيْ طبيعتي؛ الجانب الطيب والجانب الشرير، فلم أعد كاذبًا بأي شكل من الأشكال نظرًا لأن كلا جانبي طبيعتي كانا حقيقيين، فكنت نفسي بالتمام عندما أنخرط في فعل مشين، مثلما كنت نفسي بالتمام عندما أحيا حياة طيبة نقية. تمحورت دراستي العلمية حول هذه الطبيعة المزدوجة للإنسان التي فيها يجمع الإنسان بين الخير والشر. وافترضت أن ثمة تعليلًا منطقيًّا وكيميائيًّا لهذا الانفصال، ولا بد أنه جزء من تركيبنا البدني. لماذا يوجد شخص أشقر وآخر أسمر؟ لماذا البعض طوال القامة وآخرون قصار القامة؟ قطعًا

يوجد تعليل مشابه يفسر وجود الجانبين الطيب والشرير في البشر. وكنت أنا نفسي حقل تجارب لنفسي، كل يوم أشعر بالدنو من فهم هذا الانفصال؛ اعتقادي القوي أن الإنسان ليس واحدًا وإنما اثنان. شخصان في إنسان واحد. وأنا على يقين من أن علماء آخرين سوف يواصلون البحث بل يكتشفون أننا في واقع الأمر أكثر من شخصيتين. أما الآن فلا بد أن ألتزم بما أعرف أنه حقيقي؛ أثناء أبحاثي وتجاربي أصبحت على قناعة بأنه يمكن فصل هذه الطبيعة المزدوجة، فقلت لنفسي إنه إذا أمكن فصل كل شخصية إلى كيان منفصل، فستكون الحياة أيسر، فيستطيع الشرير أن يذهب في طريقه والطيب في طريق أخرى، ومن ثم يمكن التمييز بينهما، وعندئذ سينتهي الشك والتشويش، فوجود القوتين المتضادتين في نفس الجسد قد سبب الكثير من الألم بالفعل. وكان سؤالي التالي: «كيف يمكن أن أفصلهما؟»

لن أخوض في التفاصيل العلمية الدقيقة لاكتشافي لسببين؛ أولهما: أرى الإفصاح عن مثل هذه المعلومات خطرًا للغاية، فجميعنا فضوليون بالطبيعة ولا أريد أن يُؤذى أي إنسان آخر. وثانيهما: أن اكتشافاتي ليست كاملة كما ستعرف من اعترافاتي. وغني عن القول، أنه بعد الكثير من التجريب والمحاولة والخطأ، اكتشفت ما ظننته المزيج المثالي.

تأنيت قبل أن أضع هذه النظرية موضع التنفيذ عمليًّا، أعلم جيدًا أنني جازفت حتى الموت؛ أي عقار يمس فكرة من نحن لا بد أن يكون خطيرًا. على أن فضولي كان كبيرًا؛ فقد غلبت رغبتي العارمة في تعلم شيء جديد أي مخاوف لديّ. اشتريت كمية كبيرة من ملح معين من شركة بيع بالجملة، فقد كنت على دراية بأن هذا الملح هو آخر خيط في اللغز. وفي وقت متأخر من إحدى الليالي مزجت كل العناصر معًا في مخبار قياس، وأخذت أراقب فيما تصاعدت الفقاعات والدخان وغلى المزيج. وقد تغير لونه مرات عدة قبل أن ينتهي به الحال إلى اللون الأخضر المائي. أخذت نفسًا عميقًا كي أستجمع شجاعتي، ثم تجرعته في عجالة.

وكم كانت دهشتي من الألم والسقم الذي أصابني، إذ أخذت أتدحرج على الأرض من الوجع، وشعرت أنني قطعًا ألحقت بنفسي ضررًا بالغًا. وعندئذ، توقف الألم وشعرت أنني على ما يرام كليةً. انتصبت من وقعتي وشعرت بأنني أكثر رشاقة وصحة وشبابًا مما كنت على مدار سنوات عديدة. وساورني شعور غريب بالهلع، بل يمكنني أن أقول إن صورًا وحشية أومضت في ذهني. أرى أن كلمة «وحشية» هي الكلمة المناسبة هنا. قطعًا شعرت بأنني إنسان وحشي متحرر من أي التزام في الحياة. مددت ذراعي ولاحظت

للمرة الأولى أنني صرت أقصر؛ فقد انكمشت بطريقة أو بأخرى خلال عملية التحول، وأصبحت كل ملابسي كبيرة عليّ الآن. لقد أصبحت مستر إدوارد هايد.

الفصل الحادي والعشرون

منظور جديد

لم يكن لدي مرآة في المختبر. أخيرًا ثبت واحدة في مكتبي حتى أستطيع أن أرى التحول. بيد أنه في الليلة الأولى اضطررت أن أتسلل إلى منزلي. وفيما كنت أتسلل عبر الفناء لاحظت أن السماء كانت مرصعة بالنجوم، وخطر لي أنه في خلال عمرها الذي بلغ ملايين السنين لم تنظر إلى كائن مثلي من قبل. أدركت أيضًا أنه إذا عثر عليّ خدامي أتجول في الطرقات، فإنهم سيستدعون الشرطة. وفيما نظرت إلى إحدى المرايا الموضوعة في الردهة، رأيت وجهًا ذابلًا دميمًا. وتعجبت هل الشر في نفس الإنسان يؤثر تأثيرًا قويًّا على وجهه؟ كان تخميني الأول بالإيجاب؛ فلا يوجد تعليل آخر لمظهر هايد الكريه. يبدو أن «الجانب الشرير» في طبيعتي لم يكن قد نما مثل الجانب الطيب. بالطبع يبدو هذا منطقيًّا نظرًا لأنني لم أوفر له الوقت الكافي كي ينمو أو ينشط؛ فلقد أمضيت معظم حياتي مبقيًا عليه حبيسًا هادئًا. ومع ذلك لم أشعر بالاشمئزاز؛ فقد أدركت أن الصورة المنعكسة في المرآة هي لي. فلا يزال هذا الذي أراه هو أنا. وكان رد فعلي تجاه صورتي حينها يختلف عن رد فعل أي شخص آخر. كل إنسان رأى إدوارد هايد — حتى أنت يا صديقي الطيب أترسون — انتفض إلى الوراء. أظن أن هذا يرجع إلى أن الناس اعتادوا أن يروا الجانبين الطيب والشرير معًا بداخل أي إنسان، الطبيعة المزدوجة التي تحدثت عنها آنفًا. على أن إدوارد هايد ليس له مثيل، فهو شر خالص.

عندئذ فقط خطرت لي الفكرة المرعبة. ماذا لو لم أستطع العودة إلى ذاتي الأخرى؟ فهرعت إلى مختبري في عجالة، وسريعًا أعددت المزيج مرة أخرى وتجرعته. مرة أخرى أُصبت بآلام ونوبات شديدة، وعندما أفقت منها، هدأت لأجد أنني رجعت إلى جسد دكتور هنري جيكل.

أؤكد لك أن خططي كانت نبيلة؛ فقد أجريت هذه التجربة بناء على دوافع علمية بحتة، لكن ما إن وصلت إلى هذه النقطة الحرجة لم يكن بمقدوري العودة ثانية، فثمة شيء ما انطلق بداخلي، ربما كان مجرد فضول. أخشى ألا أعرف نفسي حقًّا. ما إن اكتشفت مستر هايد، ألح في المزيد من الانطلاق، فبدأ يتغلغل في بقية جوانب حياتي.

لم يحدث هذا التغيير بين عشية وضحاها، إذ كنت ما زلت منخرطًا في دراستي، وما زلت ألتقي الأصدقاء والرفقاء. بمرور الوقت شعرت بأن مستر هايد يزداد قوة. استهواني الأمر في البداية، لكن بدأ وجود مستر هايد يصبح غير مرغوب فيه. سيطرت عليّ هذه القوة؛ فمعرفة أنه بجرعة فورية يمكنني التحول ما بين جسدَيْ وغد شرير وطبيب نبيل، هي فوق إدراك الإنسان. وصار الأمر ضربًا من ضروب التعذيب. وأخذ الالتقاء بالناس يزداد صعوبة أكثر فأكثر، فتركت الصداقات تنزوي. ولم يؤنسني في وحدتي سوى خدمي. من ناحية أخرى لم يكن هايد مختفيًا، فقد عاش بين اللصوص والأوغاد، فهذه الرفقة المثلى لمستر هايد.

استأجرت أنا — أو ربما يجدر بي أن أقول هايد — تلك الغرفة في سوهو، التي كانت مأوى له كي يستريح ويزاول الأعمال التي يراها مناسبة له. في الوقت نفسه أخبرت كل خدامي بأن يقبلوا مستر هايد في المنزل، وبعدها حررت الوصية التي أزعجتك أيما إزعاج، إذ خشيت أن يحل مكروهًا بشخصية جيكل، ولم أشأ أن أترك هايد دون مال، وما إن أدركت أن الرعاية مكفولة للشخصيتين، بدأت فعليًّا أنعم بالتحرر من مستر هايد.

بمقدور هايد أن يفعل ما يحلو له دون أن يلقي أحد بلائمة على جيكل، وبمقدوره أيضًا أن يقوم بأفعال كريهة شنيعة دون أن يكون هذا خطأ دكتور جيكل. مرارًا وتكرارًا حاولت أنا — جيكل — أن أصلح الخسائر التي قام بها هايد، من ثم لم أكن خالي المشاعر. لعل ابن عمك مستر إينفيلد أخبرك بواقعة ألحق فيها هايد الضرر بفتاة صغيرة. لقد دفعت لأهلها مبلغًا كبيرًا من المال، أعلم أن الشيك لم يبطل الضرر، لكن هذا كل ما كان بوسعي فعله كما تراءى لي. على أنني تغافلت عن الجانب الأكبر.

الفصل الثاني والعشرون

مستر هايد الجامح

قبل مقتل سير دانفرز بشهرين، عدت من إحدى مغامرات هايد وتحولت إلى جيكل وخلدت إلى النوم. استيقظت من نومي وأنا تحت تأثير مشاعر غريبة للغاية؛ أدركت أن الغرفة من حولي هي غرفتي، لكن ثمة شيئًا خطأ. شعرت وكأنني لست في المكان الصحيح. استلقيت في فراشي أتساءل عن هذا الموقف. وكنت على قناعة بأن ثمة إجابة منطقية علمية لهذا الانزعاج الذي انتابني. كنت غارقًا في التفكير عندما لاحظت يدي. لم تكن يد دكتور هنري جيكل؛ فقد كانت نحيفة، وعظامها كبيرة وبارزة. كانت يد مستر إدوارد هايد.

قطعًا أمضيت ما يقرب من دقيقة أتفرس هذه اليد، وكنت مشدوهًا للغاية بكل ما يجري، وأخيرًا عندما ربطت كل الخيوط في ذهني، هرعت إلى المرآة. لم أستطع أن أصدق عيني؛ أجل، لقد ذهبت إلى الفراش وأنا دكتور هنري جيكل، واستيقظت وأنا إدوارد هايد. كيف يمكن أن يحدث؟ كان السؤال التالي الذي يدور في ذهني، وربما السؤال الأكثر إلحاحًا: كيف يمكن علاج هذا؟ كان الوقت منتصف الصباح، وجميع الخدم مستيقظون، والعقار في المختبر، ومن المستحيل أن أسير عبر الفناء للحصول عليه. كان من الممكن أن أغطي وجهي، لكن هذا ما كان ليخفيني بالدرجة الكافية. ومن حسن الحظ أخذت نفسًا عميقًا وأدركت أن خدامي قد اعتادوا بالفعل مجيء وذهاب هايد. فارتديت ملابسي في عجالة وغادرت الغرفة. مررت ببرادشو الخادم، الذي ارتعد من حضور مستر هايد في وقت مبكر من النهار. وقطعًا لفت نظره أيضًا ملابسي الفضفاضة. واختفى مستر هايد في الفناء. وبعدها بعشر دقائق كان الدكتور جيكل جالسًا لتناول الإفطار، متظاهرًا أنه شغوف بالطعام.

كنت على دراية بأنني لن أكون قادرًا على الاستمرار في حياتي المزدوجة التي كنت أفقد السيطرة عليها، فيما تزيد سطوة هايد عليها الآن. وظننت أنه ازداد قوة بالفعل، إذ كنت أتحول من جيكل إلى هايد دون أن أتناول الدواء. وكان عقلي — أو جسدي، لم أكن أعرف أيًّا منهما — يتحول وحده. عندئذ بدأ الدواء يفقد مفعوله بالفعل، فكنت أضطر أن أتناول ضعف الجرعة المعتادة ثلاث مرات كي أتحول ما بين الشخصيتين. في بداية هذه التجربة كان من الصعب أن أتخلى عن شخصية دكتور جيكل، والآن العكس صحيح تمامًا؛ فقد أكدت أحداث تلك الصبيحة أن فقد مستر هايد صار أكثر صعوبة. كان من الجليّ أنني أفقد التحكم في ذاتي الأصلية الأفضل؛ فشخصيتي الشريرة الوحشية أخذت تتقوى.

علمت أنني مضطر أن أختار بينهما. كان جيكل قلقًا ومهتمًّا بشأن أفعال هايد وعيشه الكريم، أما هايد فلم يكن مباليًا بشأن جيكل بالمرة. كان فقدان هايد بالنسبة لي فقدان بعض الشرور التي صرت أستمتع بها، أما التخلي عن جيكل فقد عنى أنني سأصير بلا أصدقاء ومكروهًا من الجميع. علمت أنني لا أستطيع تحمل العيش بهذه النتيجة.

لذا تخليت عن هايد، لكنني كنت لا أزال محتفظًا بالشقة الكائنة في حي سوهو، وملابس هايد مُعلقة في دولاب مختبري، لكنني لم أستخدم الدواء. وعلى مدار شهرين حييت حياة هادئة وحذرة. وقد سعدت بهذه الحياة بعض الوقت؛ إذ كان ضميري صافيًا، غير أن الرغبات والغرائز لم تفارقني، لكنها كانت مستكنة فحسب. مرة أخرى وجدت نفسي أعد جرعة الدواء وأتجرعها.

وظل شيطاني حبيسًا زمنًا طويلًا، وجاء هايد مزمجرًا وهائجًا على نحو لم أتوقعه. وفيما كنت أتجرع الدواء علمت أن هذه المرة ستكون مختلفة. كنت على دراية بأن هايد يبتغي أن يعوض الوقت الضائع. وحدث أنه في هذه الحالة قابل هايد مصادفةً سير دانفرز في ممر الحديقة. لا أذكر كثيرًا عن الحادث، لكن هايد كان غاضبًا غضبًا أعمى، ووقع الأمر برمته سريعًا.

أنا الملام على كل هذا، لأن هايد هو من ارتكب الفعل الشنيع، لكن صدقني ما كان جيكل ليفكر في الأمر من الأساس. علمت أن حياتي انتهت عند هذه اللحظة أيضًا. هرب هايد أو أنا من موقع الجريمة، وهرعت إلى شقة سوهو، وأحرقت كل أوراقي كي أطمث أي أدلة. وعندئذ بدأت أجول في شوارع لندن. وفكر هايد في جرائم القتل الأخرى التي يحب أن يرتكبها. والآن وبعد أن تذوق طعم الدماء خشيت ألا يتوقف.

وما إن تحولت إلى جيكل مرة أخرى، ركعت على ركبتي وتوسلت الرحمة من الله، وتأكدت أنه لن يكون هناك هايد مرة أخرى. وشعرت بأن اتخاذ هذا القرار النهائي هو الحرية. ولم أدرك إلى أي مدى كان هذا سجنًا. ولكي أتأكد أنني لن أتعرض للإغواء مرة أخرى، وأن هايد لن يستطيع الدخول من الباب الخلفي، كسرت القفل، وعندئذ سحقت مفتاح البوابة تحت قدميّ.

علمت في اليوم التالي أن خادمتي شهدت جريمة القتل. وارتعت لدى سماع اسم هايد قاتلًا. بل لم أكن أدرك أن من التقيته في الممر كان سير دانفرز. كان غضب هايد شديدًا حتى إنه ابتلع شخصية جيكل تمامًا. كان للجانب الشرير من شخصيتي — مستر هايد — اليد العليا على جسدي وعقلي.

عقدت العزم على أن أحيا حياة إنسان تائب، فبدأت أوالي الأعمال الخيرية، وواظبت على حضور الطقوس الكنسية وأحييت الصداقات القديمة. رجعت من العزلة بكامل قوتي، أصبحت إنسانًا وُلد من جديد. شعرت أنها معجزة أن أحظى بفرصة ثانية، ولم يكن لدي أدنى فكرة أن هذا لن يدوم.

وفي يوم من أيام الربيع الأولى، وفيما كنت أستمتع وحدي بقضاء بعض الوقت على مقعد في إحدى الحدائق، وأنصت إلى العصافير تزقزق على الأشجار وأشاهد الأطفال تلهو، إذ بموجة من الإعياء تجتاحني ورجفة عنيفة تهزني. ثم توقفتا تاركتين إياي فاقدًا الوعي. شعرت بأن درجة حرارتي ترتفع. أغمضت عينيّ متمنيًا أن يزول هذا الشعور أيضًا. ومع ذلك شعرت بأن شيئًا ليس على ما يرام، فإذ بجيشان مفاجئ من الطاقة يجتاحني. وشعرت بغضب يتملكني بسرعة. فتحت عينيّ مرة أخرى لأجد ملابسي بدت فضفاضة للغاية على حين غرة، ويديّ نحيفة وشاحبة. مرة أخرى أصبحت إدوارد هايد.

أدركت أنه لا يصح لي أن أجلس في الهواء الطلق هكذا، فهايد رجل مطلوب للعدالة. أدركت أيضًا أنني لا بد أن أحصل على الدواء. لم أستطع أن أتجه إلى الباب الأمامي ذلك لأن بول سيستدعي الشرطة حالما يراني، ولم أستطع الدخول من الباب الخلفي لأنني هشمت القفل والمفتاح. أدركت أنني سأحتاج إلى مساعدة أحدهم عندما خطر دكتور لانيون ببالي. فكتبت خطابًا إلى لانيون أطلب منه أن يحضر لي الدواء. كنت متأكدًا أنه سيفعل. لا بد أن تعرف أحداث تلك الأمسية الآن. ذكر لانيون أنه سيكتب إليك، لذا لن أكرر عليك القصة هنا. ومع ذلك عليك أن تتفهم أنني صُدمت من ردة فعل لانيون. توقعت أن يحمى غضبه، لا أن يرتعد. ستلازمني ما حييت حقيقة أن هذه الصدمة هي التي أودت بحياته.

بدأ نوع جديد من الخوف يستحوذ عليّ؛ لم أعد خائفًا من الشرطة وحدها، وإنما صرت مرعوبًا من أنني قد أضطر أن أعيش بشخصية هايد. تمنيت لو كنت قد رأيت نهايته. لكن في اليوم التالي، وفيما كنت أسير عبر الفناء، اعترتني نوبات الألم المعتادة. تناولت جرعتين من الدواء ثم عدت إلى جسدي كدكتور جيكل. ثم بعدها بست ساعات، وفيما كانت أقرأ بجانب المدفأة، انتابني الخوف مرة أخرى، لذا تجرعت المزيد من الدواء. إذا غلبني النوم — ولو حتى كإغفاءة — أستيقظ دائمًا مستر هايد. كنت مرعوبًا، وقد استنزفني هذا الرعب. وفيما ازداد جيكل وهنًا، ازداد هايد قوةً. واستهلكت أنا جيكل كل طاقتي في إجبار هايد على تناول الدواء. وخشيت ألا يصلح هذا لفترة أطول. ولم أعوض قط ما نقص من الملح المستخدم في الدواء. في أثناء تلك الآونة كنت أستخدم نفس المورد. بدأت أبحث عن المزيد. وكنت قد افترضت أن الكمية الأصلية التي كانت بحوزتي هي شكل نقي من أشكال الملح. من ثم بدأت أطلب من الصيادلة أنقى كمية لديهم. ومع ذلك لم تأت المادة المطلوبة قط، لذا كنت أرجعها جميعها إليهم. وعندئذ أدركت أن الكمية الأصلية التي كانت بحوزتي لم تكن مادة نقية أغلب الظن؛ قطعًا كانت ممزوجة بمادة غير معروفة. إنها تلك المادة الغامضة، أو مزيجها بالملح، التي تحدث الأثر المطلوب.

مرّ قرابة الأسبوع منذ أن بدأت في كتابة هذا الخطاب، وأنا أعمل تحت تأثير آخر جرعة من الدواء. من المحتمل أن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي يُسمح فيها لهنري جيكل أن يتكلم أو يُسمع. أنا مضطر أن أنهي هذا الخطاب الآن، خشية أن يسيطر عليّ هايد قبل أن أحظى بالفرصة لغلق الخطاب، فإذا رآه فسيمزقه قطعًا. هذه هي ساعة موتي الحقيقية. بإنزالي قلمي وغلق خطاب اعترافاتي، سأكون قد أنهيت حياة هنري جيكل التعيس.

أسأل الله أن يرحمني.

دكتور هنري جيكل


هنداوي